

الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، -صلى الله وسلم عليه وعلى إله وأصحابه أجمعين-.

أما بعد:

فنواصل في الأذكار المتعلقة بطرقي النهار.

(المتن)

وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرّات إلا لم يضره شيء». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(الشرح)

أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث وهو من جملة الأحاديث المتعلقة بأذكار طريقي النهار، فهو ذكّر يقال في الصباح، ويقال في المساء وهو تحصن، يتحصن العبد ويتحرز ويوقى بإذن الله -تبارك وتعالى- إذا ذكر اسم الله -تبارك وتعالى- كما أمر، وكما أخبره وأرشدته إلى ذلك رسول الله -عليه الصلاة والسلام- فإنه يوقى ولا يضره شيء، على ما سيأتي بيانه في هذا، حديث عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرّات إلا لم يضره شيء». هذا الذكر كما جاء في الحديث يُقال ثلاث مرّات في الصباح، وثلاث مرّات في المساء، وكما قدمت، هو تحصن إذا حافظ عليه العبد؛ حفظ بإذن الله -عز وجل-، ولم يضره شيء، أي شيء كان، لا من جهة الشياطين، ولا من جهة الهوام، ولا من جهة المصائب، أو نحو ذلك لم يضره شيء، يعني كان بذلك محفوظاً بحفظ الله -تبارك وتعالى- فلا يصل إليه ضرر، ولا يمسه ضرر لأنه محفوظ بحفظ الله -عز وجل-.

قال: يقول: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء» الجار والمجرور هنا في قوله: «بسم الله» متعلقاً بمَحذُوف تقديره استعيذ، بسم الله أستعيذ؛ يعني أطلب العوذ، فأنت تسمي هذه التسمية ذاكراً اسم الله -تبارك وتعالى- في هذا الوقت في الصباح وفي المساء تطلب أن يعيدك، وأن يقيك، وأن يسلمك، وأن يحفظك، فتقول «بسم الله» أي: أستعيذ، أطلب العوذ، ذاكراً اسم الله -عز وجل- طالباً منه -عز وجل- أن يعيدني، هذا معنى قولك هنا «بسم الله» لأن بسم الله في كل موضع يقدر المسمى أو الفاعل فعلاً يناسب الأمر الذي سمي لأجله، فإذا كنت تكتب وقلت: «بسم الله» فالمعنى بسم الله أكتب، وإن كنت أردت أن تأكل فالمعنى بسم الله أكل، وهكذا.. فأنت هنا تطلب العوذ، تطلب من الله أن يعيدك في صباح اليوم وتطلب منه أن يعيدك في مساءه، فتقول: «بسم الله» أي: بسم الله أستعيذ، أطلب منه أن يعيدني أن يقيني أن يحفظني.

«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» أي: مع ذكر اسمه، والاستعاذة به، والإلتجاء به، والإحتماء بحماه - سبحانه وتعالى -، لا يصل للإنسان أي ضرر، لا من جهة الأرض ولا من جهة السماء، فإنه يكون بذلك محفوظاً، لا يضره شيء، لا يصل إليه ضرر لا من جهة الأرض ولا من جهة السماء «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» أي: أن الضرر لا يحصل للإنسان، ولا ينال الإنسان مادام ذاكراً لله، مستعيناً بالله، محتتماً بحماه، طالباً حفظه - تبارك وتعالى - وكفايته، والله - عز وجل - يقول: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]، فمن استعان بالله أعانه، ومن استعاذ بالله أعاده، ومن توكل على الله كفاه.

قال: «لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» أي: لا من جهة الأرض ولا من جهة السماء، «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» السميع لأقوال الناس، وجميع الأصوات، -تبارك وتعالى- يسمع الأصوات كلها -جل وعز-، ولو أن الناس من أولهم إلى آخرهم قاموا في صعيدٍ واحدٍ، وتكلموا في لحظةٍ واحدةٍ، وكلٌّ تكلم بحاجته، وكلٌّ تكلم بلهجته ولغته ولسانه، لسمع أصواتهم أجمعين - سبحانه وتعالى -، دون أن يختلط عليه صوت بصوت ولا لغة بلغة ولا حاجة بحاجة.

قالت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات، وفي الحديث القدسي يقول الله -تبارك وتعالى-: «يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَأُنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُذْخِلَ الْبَحْرُ». فالله -عز وجل- سميعٌ للأصوات كلها، وللمسموعات جميعها، لا يخفى عليه -تبارك وتعالى- منها شيء السميع.

«وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أي: الذي يعلم السر وأخفى، يعلم الغيب والشهادة، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وأنت في ذكر هذين الإسمين في هذا المقام تذكرهما توسلاً إلى الله -تبارك وتعالى- بذكر هذين الإسمين هذا من جهة، ومن جهة تقوية لإيمانك وتوكلك واعتمادك وثقتك في الله؛ لأنك تستحضر مع التسمية أنه سميع عليم، يسمع كلامك ويعلم بحالك، ولا تخفى عليه -تبارك وتعالى- خافية أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً. يقول نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، يعني: قل هذا الذكر ثلاث مرَّاتٍ إذا أصبحت، وثلاث مرَّاتٍ إذا أمسيّت. فما من عبد يقول ذلك «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» يعني: لا يحصل له ضرر، بل إنه محفوظاً بإذن الله -عز وجل-.

قلت قبل قليل «لا يضره شيء» يعني: أي شيء كان، يعني: لا ضرر من جهة الشياطين وأذاها وتسلطها وعدوانها، يسلم من ذلك، يسلم أيضاً من أن يُعتدى عليه، أو يُبغى عليه، أو نحو ذلك من الأضرار، أيضاً يسلم من أضرار الحيوانات المؤذية والحشرات المؤذية، يسلم من ذلك كله، أيضاً يسلم من الأسقام والأمراض كل ذلك داخل تحت قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يخص -عليه الصلاة والسلام- نوع الضرر بل قال: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» فبقي الأمر على إطلاقه فيحفظ قائل هذا الذكر من كل شيء ويكون محفوظاً بحفظ الله -تبارك وتعالى-.

هذا الحديث رواه الترمذي كما قال المصنف في كتابه "السنن"، وأورد عقبه قصة مفيدة لأحد رؤاة الحديث وهو: أبان بن عثمان أحد رواة هذا الحديث، كان في مجلس هذا أبان، كان في مجلس وكان يحدث من عنده بهذا الحديث، ساق إليهم الحديث بسنده، وكان أبان مُصاب بطرف فالج، يعني: في طرف من أطرافه فيه فالج، والفاالج: هو ما يسمى الآن بالشلل، أو الجلطة التي يتوقف فيها حركة الطرف الذي أصيب بالفالج، فكان أصيب بفالج، وجزء أو جنب من جسمه متوقف عن الحركة، فكان يحدث بهذا الحديث، وفي المجلس رجل حاضر فكان يسمع منه الحديث ويسمع في نهاية الحديث «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» وكان مركزاً عينيه على

الفالج، الإصابة التي في أبان بن عثمان، يعني: ينظر إليه مركز النظر في مكان الإصابة، ينظر بعينه بتركيز لمكان الإصابة وكأن نظرات عيونه تقول ماذا؟! تقول الآن الحديث أنت تقول في آخره يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» وأنا أرى الآن أمامي جنبك فيه الضرر هذا، فنظرات عيونه كأنها تتحدث هذا الأمر وينظر، فقال له أبان رأى هذه النظرات، فقال له أبان: ما تنظر؟ يعني: أيش النظر هذا؟ إما أن الحديث كما حدثتك، ولكنني لم أقله مَرَّتْ ليمضي الله في قدره. يعني هذه الإصابة التي تراها؛ اليوم الذي حصلت فيه لم أقل هذا الدعاء، لم أقله مرة ليمض الله في قدره، فيقول له: ما تنظر؟! يعني لا تنظر، وهذا حقيقة نستفيد منه فائدة؛ أن ما ينبغي أن تخضع السنة للتجارب كما يفعل بعض الناس، بعض الناس عندما يسمع بدعاء أو يذكر للإستشفاء، يأخذه على سبيل التجربة، وربما يسأل من أخبره يقل له جربت؟ هل جربت هذا؟ أو عرفت أن أحد جربه؟ وإذا قيل له مجرب؛ يقوى عنده الأمر أكثر من قوة سماعه من النبي -عليه الصلاة والسلام-، أو بلوغه أنه من النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ هذا من الخطأ.

ومما يفيدنا في هذا الباب: قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «صدق الله» وماذا؟ «وكذب بطن أخيك»، فما تخضع السنة للتجارب، ولا ينظر الإنسان للسنة بمثل هذه النظرة، وإنما السنة مثل ما قال أبان -رحمه الله-: أما إن الحديث كما حدثتك، الحديث صادق لأنه خرج من الذي لا ينطق عن الهوى -عليه الصلاة والسلام-. «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ» فيقول: أما إن الحديث كما حدثتك، لكن هذه الإصابة أو هذا الضرر لكوني نسيت، مثل هذا أيضاً ما حصل للقرطبي في حديث سيأتي معنا، وهو حديث من نزل منزلاً، «من نزل منزلاً وقال: "أعوذ بكلمات الله التامات كلها لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك"، يقول القرطبي -رحمه الله- المفسر: منذ سمعت هذا الحديث ما تركته، إلا ليلة كنا بالمهدية (منطقة)، يقول: كنا بالمهدية فبتنا فلدغني عقرب، فتذكرت أبي نسيته تلك الليلة.

فعلى كل حال هذا خبراً صادقاً، وكلام حق قاله الصادق المصدوق -عليه الصلاة والسلام-، أن من أتى بهذه الكلمات في اليوم في الصباح ثلاث مرات وفي المساء ثلاث مرات لم يضره شيء أي شيء؛ لأنه كان محفوظاً بحفظ الله. وأيضاً أنه على أمر يتعلق بهذا الذكر وغيظه أن من يقوله ينبغ أن يقوله مع الثقة بالله -عز وجل-، وحسن الصلوة به، ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لقلب لاهٍ، فيأتي الإنسان بمثل هذه الأذكار وهو موقن، واثق، مطمئن، لكفاية الله -عز وجل- وحفظه ووقايته.

(المتن)

وعن ثوبان وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، كان حقاً على الله أن يرضيه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث؛ حديث ثوبان وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، كان حقاً على الله أن يرضيه»، هذا فيه قول هذه الكلمات الثلاث «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»، في وقت المساء، أي: في جملة أذكار المساء يقولها ثلاث مرات، «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً»، ومن يقول هذه الكلمات الثلاث ينبغي أن يقولها بقلبه، ولسانه، فلسانه يتحرك بهذه الكلمات معلناً بها الرضى بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، وقلبه يقولها معتقداً ومؤمناً ومطمئناً وراضياً بالله رباً و بالإسلام ديناً

وبمحمد ﷺ رسولاً. والرضى بالله ربنا؛ أن يرضى به - سبحانه وتعالى-؛ رباً معبوداً، سيداً، مطاعاً، آمراً، ناهياً يمتثل أمره، وينتهي عن نهي، ويقبل حكمه، ويتقيد بشرعه لأنه رضى به رباً، فكان بذلك مستسماً مُنْقَاداً مطيعاً ممتثالاً لأمر الله -تبارك وتعالى-. ولهذا التقصير في طاعة الله، وامتناله أمره، وارتكاب نهي؛ كل ذلك من ضعف الرضا، وإلا لو قوي رضى العبد بالله -تبارك وتعالى- لاطمأن وانقاد وامتثل لأوامر الله - سبحانه وتعالى-.

وكذلك الرضى بالإسلام ديناً، يقتضي انقياد العبد لهذا الدين، وألا يجد في صدره حرج من شيء من أوامر هذا الدين، بل يقبله ويُقبل عليه، وينشرح صدره لتلقيه والقيام به، لأنه رضى بالإسلام ديناً.

وكذلك رضى بمحمد -عليه الصلاة والسلام- نبياً، هذا يقتضي أن يُحبه -صلوات الله وسلامه عليه- محبةً مقدمةً على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين، وأن يطيعه في أمره، وأن ينتهي عن نهي وأن يصدق في خبره، كل ذلك من الرضى به ﷺ نبياً.

قال: «**كان حقاً على الله أن يرضيه**» والجزء من جنس العمل، شاهدوا ذلك في القرآن: **﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾** [المائدة: ١١٩] فالجزء من جنس العمل، فمن رضى عن الله ورضي بالله رباً؛ رضى الله عنه، وإذا رضى الله -تبارك وتعالى- عن عبده فاز بسعادة الدنيا والآخرة، من فاز برضى الله -تبارك وتعالى- عنه حاز على سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا الحديث كما نبة محققة؛ محقق الكتاب الشيخ الألباني -رحمه الله-، الحديث سنده ضعيف لأن فيه سعيد بن المرزبان ضعيف مدلس وقد عنعن، فالحديث إسناده ضعيف، لكنه ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في مستدرک الحاكم، بل في سنن أبو داود ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**من قال رضىت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً وجبت له الجنة**»، ولم يقيد بِصَبَاحٍ أو مساءً، يعني بلفظ «**من قال رضىت بالله رباً**» لم يقل فيه: إذا أمسى أو إذا أصبح، فهذا ذكر مبارك يجمل بالمسلم أن يأتي به، وأن يحافظ عليه، وأن يكون من جملة ذكره؛ لأنه ثابت عن النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

(المتن)

وعن أنس -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، أعتق الله ربعه من النار، ومن قالها مرتين؛ أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً؛ أعتق ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعة؛ أعتقه الله من النار**».

قال الترمذي: حديث حسن .

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث، حديث أنس -رضي الله عنه- أن الرسول ﷺ قال: «**من قال حين يصبح أو يمسي: اللهم إني أصبحت أشهدك.. إلى آخره**» هذه الشهادة التي وردت في هذا الحديث شهادة عظيمة بوحداية الله -عز وجل-، وإِشْهَاد من الشاهد لله وملائكته وحمله عرشه وجميع خلقه بأنه شَهِدُ بهذه الشهادة، فهي شهادة عظيمة جداً لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية، والشاهد بها يشهد الله على هذه الشهادة، ويشهد ملائكة الله، ويشهد حملة عرش الله، ويشهد جميع خلق الله على هذه الشهادة؛ أنه يشهد لله -تبارك وتعالى- بالوحدانية، فهي كلمات عظيمة جداً في شهادة التوحيد، وإعلان التوحيد، والإقرار بالتوحيد، والصدع بالتوحيد، والصيغة كما وردت يقول: «**اللهم إني أصبحت أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع**

خلقتك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت» فالمشهود به هو هذا؛ التوحيد؛ لا إله إلا الله، وهي أعظم شهادة، في أعظم مشهود به وهو توحيد الله -تبارك وتعالى-، إعلان التوحيد، والبراءة من الشرك، وهذا أمرٌ شهد به رب العالمين ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهذه أعظم شهادة من أعظم شاهد، رب العالمين شهد بذلك، والملائكة شهدوا بذلك، وهنا في هذا الحديث عبد الله المؤمن يشهد بذلك، ويُشهد الله على شهادته، ويُشهد حملة العرش على شهادته، ويُشهد الملائكة على شهادته، ويُشهد الخلق على شهادته بأنه لا إله إلا الله؛ فهذا إعلان للتوحيد.

قال: «أشهدك» أي: أنت يا الله، «وأشهد حملة عرشك» خصّ حملة العرش لعظمتهم، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، فهو يُشهد الحملة الذين يحملون العرش، عرش الرحمن -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: «وملائكتك» عطف الملائكة هنا على حملة العرش من باب عطف العام على الخاص، ثم عطف جميع الخلق على الملائكة؛ هو أيضاً من باب عطف العام على الخاص لأن جميع الخلق يدخل فيه الملائكة، ويدخل فيه حملة العرش، فتدرج في ذكر هؤلاء بالخاص، ثم الأوسع منه، ثم الأشمل وهو قوله: «وجميع خلقك».

«أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت» وهذا الشهادة له تبارك تعالى بالوحدانية، وبأنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه.

قال: «وأن محمداً عبدك ورسولك» وهذه الشهادة لنبيه بالرسالة، وهي قرينة الشهادة لله بالوحدانية، الشهادة لنبيه ﷺ بالرسالة، «أشهد أن محمد عبدك ورسولك».

«عبدك» أي: الذي كمل مقام العبودية وأتمها -صلوات الله وسلامه عليه-.

«ورسولك» الذي تحمل أعباء الرسالة وقام بها على التمام والكمال فبلغ البلاغ المبين، وأدى الرسالة كما أمر بذلك رب العالمين. قال في ذكر ثواب من أتى بهذه الشهادة: قال من قالها: «أعتق الله ربعة من النار» يعني من قالها مرة، «ومن قالها مرتين؛ أعتق الله نصفه من النار، ومن قالها ثلاثاً؛ أعتق ثلاثة أرباعه من النار، فإن قالها أربعة؛ أعتقه الله من النار» وهذا فيه أن التوحيد هو أساس العتق من النار، وفيه أيضاً أهمية تجديد التوحيد كل يوم؛ بأن يردد كلمة التوحيد، ويجدد إيمانه كل يوم، يقول هذه الكلمة العظيمة وهو يستحضر معناها ويستذكر مدلولها، وهذا التجديد للتوحيد والترداد لكلمة التوحيد؛ هو سبب العتق من النار، إذا قالها مرة عتق ربعة، مرتين رבעاه، ثلاثة مرات ثلاثة أرباعه، أربع مرات أعتق من النار، كما جاء في هذا الحديث.

وأيضاً محقق الكتاب نبه على أن الحديث لم يثبت عن النبي ﷺ في الأذكار التي تُقال في الصباح والمساء، لم يثبت وبين علته، لكن أيضاً الحديث ثابت، يعني هذا الذكر وهذه الشهادة ثابتة عن النبي -عليه الصلاة والسلام- بسند صحيح غير مقيد بالصباح والمساء، مثل سابقه ثابتاً عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، ولكنه غير مقيد في الصباح والمساء.

جاء في مستدرک الحاكم عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- مرفوعاً إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «من قال اللهم إني أشهدك» ليس فيها اللهم أي أصبحت، أو تقيداً له في الصباح أو المساء، وإنما قال: «اللهم إني أشهدك»، من قال: «اللهم إني أشهدك، وأشهد حملة عرشك، وملائكتك، وجميع خلقك، بأنه لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك»، جاء في بعض الروايات زيادة «وحدك لا شريك لك، وأن محمد عبدك ورسولك من قالها مرةً أعتق الله ثلثه من النار» هكذا في المستدرک، «ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاث مرات أعتقه الله من النار».

هذا الحديث ثابت عن النبي -عليه الصلاة والسلام- في مستدرك الحاكم، فهذا ذِكْرُ يُشْرَعُ أن يقوله المسلم وليس هو مقيداً في أذكار الصباح والمساء، فتقول هذا الذكر العظيم فتنال هذا الثواب الذي ذكره النبي -عليه الصلاة والسلام-، إذا قلته مره عتق ثلثك، وإذا قلته مرتين عتق ثلثاك، وإذا قلته ثلاث مرات عتقت من النار كما أخبر نبينا -عليه الصلاة والسلام-.

وعلى كل حال هذا كله يبين لنا مقام التوحيد ومكانته وأثره العظيم في العتق من النار والنجاة منها والفكاك منه، وأنه هو الأساس الذي ينال به العبد العتق من النار.

(المتن)

وعن عبد الله بن غنام -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ». خرجه أبو داود.

(الشرح)

ثم أورد -رحمه الله- هذا الحديث، حديث عبد الله بن غنام -رضي الله عنه-، عن النبي -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ».

هذا الحديث فيه الإتيان بهذه الدعوة؛ وهي حَمْدٌ وشُكْرٌ لله -سبحانه وتعالى- بهذه الصيغة التي وردت هنا، في الصباح يقول: «اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ»، وفي المساء يقول: «اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ» إلى آخره. «أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ» فهذه فيها حمد الله، وشكره، والثناء عليه، والإعتراف بنعمته، ومنته -تبارك وتعالى- على عبده المؤمن؛ فيه ذلك كله.

ثم ذكر ثواب ذلك قال: إن من قاله في الصباح يكون أدى شكر اليوم، ومن قاله في المساء أدى شكر تلك الليلة.

لكن الحديث كما نبه المحقق سنده ضعيف، فيه عبد الله بن عميسة قال عنه الذهبي: لا يُعرف، فالحديث سنده ضعيف.

(المتن)

وقال عبد الله -رضي الله عنهما-: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يَمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْأُرْ عَوْرَاتِي، وَأَمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ أَحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». قال وكيع: يعني: الخسف. خرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(الشرح)

ثم أورد المصنف -رحمه الله- هذا الحديث، حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يَمَسِّي وَحِينَ يُصْبِحُ»، هنا قول بن عمر -رضي الله عنهما- في وصفه للنبي -عليه الصلاة والسلام- بأنه لم يكن يدع هَؤُلَاءِ الدعوات، هذا فيه المحافظة من النبي -عليه الصلاة والسلام- في كل يوم في الصباح والمساء على هذه الدعوات العظيمة، وهي يا إخوان دعوات عظيمة جداً، والله كلنا نحتاج إليها حاجة ماسة، خاصة في زماننا هذا في كثرة الفتن والطوارق، والشُرور،

والأضرار، والمخاوف التي تنتاب كثير من الناس من كل الجهات، فكم يحتاج الناس إلى المحافظة، والمواظبة، والعناية التامة بهذه الدعوة العظيمة التي كان يواظب عليها نبينا -عليه الصلاة والسلام- كل يوم مرتين؛ مرةً إذا أصبح، ومرةً إذا أمسى.

قال: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة» والعافية: هي الوقاية من كل شر، ومن كل ضرر، ومن كل بلاء، ومن كل أمر يخيف، فيطلب من الله -عز وجل- العافية، أن يعافيه بأن يقيه من الشرور والأخطار والأضرار.

قال: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا» أي: في هذه الحياة الدنيا، أي شيء فيها، وأي ضرر، وأي بلاء، وأي شر؛ أسألك يا الله أن تعافيني منه، وأن تسلمني، وأن تقيني في الدنيا، «والآخرة» أيضاً يطلب العافية في الآخرة، وذلك بأن يُعافى من الأهوال، ومن العقوبات، ومن الآلام، وما يحصل يوم القيامة للعصاة وأهل الذنوب وأهل الخطايا، يطلب من الله -عز وجل- أن يعافيه وأن يسلمه، وأن يقيه يوم القيامة.

ثم قال: «اللهم إني أسألك العفو والعافية» العفو أي: الصفح والتجاوز عن ما بدر مني من خطأ أو وقعت فيه من ذلة أو ذنب أو تقصير، أسألك العفو أن تعفو عني، والله -تبارك وتعالى- عفواً يحب العفو -سبحانه وتعالى-.

قال: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني»، العافية في الدين أن يسلم لك دينك، إذا عافاك الله في دينك؛ سلم دينك من النواقص، والنواقض، والخوارم، ومضعفات الدين، فإذا عافاك الله في دينك سلمت في ذلك كله، وبقي دينك سالماً معافى، فأنت تحتاج إلى هذا السؤال، أن يعافيك الله في دينك، وكثير من الناس يُحرم دينه، أو يُنتقص، أو يُنقص، أو يقع في البدع والأهواء والضلالات التي تضر بدينه، فكم نحتاج أن نسأل الله -عز وجل- مرات وكرات أن يُعافينا في ديننا بأن يسلم لنا ديننا، وبأن يُحفظ لنا ديننا، وأن يوقى لنا ديننا.

قال: «اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي» يعني: في حياتي الدنيا من أن يصيبني فيها جائحة، أو مرض، أو سقم، أو بلاء، أو شر، تطلب من الله العافية في ذلك كله.

«وأهلي» أيضاً تسأل الله العافية لأهلك، أن يعافى أهلك من الشرور ومن المصائب ومن الفتن ومن البلايا. وأيضاً العافية في المال، قال: «ومالي» أن يعافى الله -عز وجل- مالك، بأن يحفظه لك من السرقة، من الإختلاس، من الجوائح، من أي أمر تخشى على مالك منه، تسأل الله أن يعافيك في مالي.

قال: «اللهم استر عورائي وأمن روعاتي»، اللهم أستر يعني: يطلب الستر لعورته، والعورة: هي كل ما يسوء المرء انكشافه، فيطلب من الله -عز وجل- أن يستره بستره، وأن يكتب له الستر، وأن تكون عوراته مستورة، لا ينكشف شيء يسوئه للناس بل يستره الله له في الدنيا، ويعافيه منه في الآخرة. قال: «اللهم استر عورائي» ويدخل تحت عموم قولك: «اللهم استر عورائي» ستر العورة المغلطة التي هي في الرجل ما بين السرة إلى الركبة، وفي المرأة، والمرأة كلها عورة، فهذا داخل في عموم قوله: «اللهم استر عورائي»، وأقول في هذا الزمان كم تحتاج المرأة أن تكرر هذه الدعوة، وهذه الدعوة كما أنها جاءت هنا في ضمن هذا الدعاء الذي يقال في الصباح والمساء؛ جاءت في حديث آخر من ضمن الأدعية المطلقة التي يُستحب للمسلم أن يقولها في أي وقت، «اللهم استر عورائي وآمن روعاتي» في كل وقت تقول هذا الدعاء، فالمرأة في هذا الزمان كم هي بحاجة أن تلح على الله -عز وجل- أن يستر عورتها في الزمن الذي تكشف فيه عورات كثير من النساء، فأصبح كثير من النساء لا نقول نساء الكفار بل نساء المسلمين من تمشي وهي تبدي ساعدها، أو تبدي ساقها، أو تبدي صدرها، أو حالة شعرها أمام الناس وغير مبالية، وهذا كله كشف للعورة،

فكم تحتاج المرأة حقيقة أن تلح على الله - سبحانه وتعالى - بهذا الدعاء وكم يحتاج المرء أن يدعو بهذه الدعوة العظيمة يكررها راجياً من الله - عز وجل - وطامعاً منه - سبحانه وتعالى - أن يستر عورته، وعورة أهله، وولده بأن يُحفظوا.

وكما قدمت قوله: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي» عام في كل ما يسوءك انكشافه، ويدخل في ضمن قولك: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي» العورة التي يسوء المرء أن تنكشف، أو أن تظهر، مع أن من فتنوا في دينهم في هذا الباب، يعني من فُتنت في دينها في هذا الباب أصبحت تمشي ولا يسوءها هذا الأمر، تبلد عندها الإحساس، وضعف عندها الدين فأصبح ما يسوءها، وأصبحت هي ونظائرها تهرأ بالمتحجبة، المحتشمة - والعياذ بالله -، فأقول: كم نحتاج حقيقة إلى المحافظة على هذا الدعاء مع تطبيق مضامينه وتحقيق مدلولاته طاعة لله - تبارك وتعالى -، و امتثالاً لأمره، و طلباً لرضاه - عز وجل -.

قال: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي» ولم يقل عورتي؛ لعموم الأمر كما قدمت ولشموله، قال: «وَأَمِنْ رَوْعَاتِي» آمن؛ من الأمن الذي هو ضد الخوف، أي: أرزقي أمناً، أمناً من الأمور التي أخشى أن تروعي وأن تخيفني، وأن أبتلى من جهتها فيحصل لي روعة أو خوف، «وَأَمِنْ رَوْعَاتِي» يطلب من الله - عز وجل - أن يأمن خوفه، والأمن من الله كما قال الله في القرآن: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ [٣] الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، فالأمن من الله - سبحانه وتعالى - فهو الذي يؤمن الخائف، ويُجير المستجير - سبحانه وتعالى - والأمر بيده، فيقول هنا: «اللهم آمن رَوْعَاتِي» وقال هنا: «رَوْعَاتِي»، أتى بهذه الصيغة صيغة الجمع؛ لأن الأشياء التي يخاف الإنسان أن تروعه ليست شيئاً واحداً، أشياء كثيرة جداً يخاف الإنسان من جهتها أن يحصل له روعة، ولهذا قال هنا: «اللهم آمن رَوْعَاتِي».

ثم قال: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي» وتأمل جيداً هذا السؤال العظيم الذي فيه طلب الحفظ من الله، قال: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ»، يعني: من أمامي، «وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» يعني: يطلب من الله - سبحانه وتعالى - أن يحفظه من كل جهاته، وأن يحصنه من جميع الجهات، من الأمام، ومن الخلف، وعن يمين، وعن شمال، ومن فوق، ومن تحت.

وهذا فيه إشارة إلى أن المصائب، والبلايا، والشُرور، لا يأمن الإنسان أن تأتيه من أي جهة، قد تأتي من اليمين، من اليسار، من الأمام، من الوراء، قد تنزل من فوق، قد تنبع من الأرض، فهي من الجهات كلها، لا يأمن الإنسان من جهة، فيحتاج العبد إلى حفظ الله - تبارك وتعالى - له من كل جهاته، من الأمام ومن الخلف وعن اليمين وعن الشمال ومن فوق ومن تحت، ويسأل الله أن يحفظه، يحفظك من ماذا؟ انتبه هنا! أنت تقول اللهم احفظني، هل حددت شيئاً تطلب من الله - سبحانه وتعالى - أن يحفظك منه؟ يعني مثلاً هل قلت هنا: اللهم احفظني من الشيطان من أمامي، ومن خلفي إلى آخره، هل حددت شيئاً معيناً؟ ماذا يفيد عدم التحديد؟ أنت لم تحدد، أنت قلت: اللهم احفظني من هذه الجهات، ولم تحدد شيئاً تطلب من الله أن يحفظك منه، فأى شيء هذا يفيد؟ يفيد العموم، الحفظ من كل شيء، من الشيطان، من أهل الشر، والعدوان والأذى، من الحيوانات المؤذية، من المصائب، من الكوارث، من الزلازل، قل ما شئت، أنت طلبت من الله - عز وجل - حفظاً عاماً من كل شيء تخافه، فهذا تحصين كامل، ووقاية شاملة يُحفظ العبد بإذن الله - تبارك وتعالى - بهذا التحصين من كل شيء، ويدخل في ذلك الشيطان، والشيطان يأتي للإنسان من جميع الجهات، اقرأ ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] والنتيجة ماهي؟ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

فالشیطان يأتي من كل الجهات، فأنت إذا سألت الله هذا الحفظ من هذه الجهات؛ حُفظت من الشيطان وحُفظت من أهل الشر والعدوان، حُفظت من المصائب والكوارث، من الأسقام، حُفظت من كل شيء من جهاتك كلها.

قال: «اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» يعني: أن يكون موثي وهلاكي غيلة من تحتي، والغيلة: أن يفاجئ الإنسان الموت بشيء من تحته، ينبع من تحته، مثل البركان أو الزلزال أو نحو ذلك، أحياناً يأتي من تحت الناس شيء يُهلك ليس العشرات ولا المئات؛ بل الآلاف، يعني في زماننا حصلت زلازل، مات في الهزة الواحدة التي اهتزت الأرض من تحت أهلها لدقيقة واحدة فمات من تلك الهزة ثلاثمائة ألف، أو أربعمائة ألف، كلهم ماتوا موت نفس واحدة، هلكوا هلاك نفس واحدة، حتى ديارهم لم تصبح لها وجود، ومن يمر على هذه الأراضي يقول كان هنا بيوت، وكان هنا عمائر، لم يصبح لها أي وجود، اهتزت الأرض من تحتهم لدقيقة واحدة، أو لدقيقتين، فكيف لو استمرت مهتزة ساعة؟ أو ساعتين؟ أو يوماً كاملاً؟ فالحافظ الله - سبحانه وتعالى -، من نعمة الله - سبحانه وتعالى - عليك أنك تمشي على أرض ساكنة، ليست رجراجة، ليست مهتزة، وإلا لو كانت الأرض التي تحت الناس مهتزة رجراجة؛ ما يستطيع أن ينام الإنسان، ولا يستطيع يبني، ولا يستطيع يزرع، ولا يستطيع أن يستقر، فمن نعمة الله أن جعل الأرض قرار، ساكنة، واعتبر في هذا الباب في حصول الزلازل أو كذلك الفيضانات أو الطوفان أو نحو ذلك من الأمور التي نراها في زماننا، ونسمع عنها في أزمان متقدمة، فالإنسان يسأل الله الحفظ، والحافظ هو رب العالمين يعقوب - عليه السلام - يقول: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، والحافظ هو رب العالمين.

فكم هو جميل بالمسلم أن يوظف هذا الدعاء راتباً كل يوم، في الصباح مرة، وفي المساء مرة، ملتجئاً إلى ربه، طالبا منه العافية، و طالبا منه الحفظ - سبحانه وتعالى -.

(المتن)

وعن طلق بن حبيب قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَدْ احْتَرَقَ بَيْتُكَ، فَقَالَ: مَا احْتَرَقَ، لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَفْعَلْ ذَلِكَ؛ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَالَهَا أَوَّلَ نَهَارِهِ؛ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ النَّهَارِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبَحَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

(الشرح)

ثم ختم المصنف - رحمه الله - هذا الفصل بهذا الحديث، حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - يقول: طلق بن حبيب؛ الراوي عن أبي الدرداء هذا من التابعين، وهو الذي يؤثر عنه التعريف العظيم لكلمة التقوى، تقوى الله - جل وعلا -، وتعريفه لتقوى الله - عز وجل -؛ امتدحه جمع من أهل العلم، تعريف حقيقة دقيق جداً، وامتدحه جمع من أهل العلم منهم ابن تيمية، والذهبي، وابن كثير، وابن رجب، وابن القيم، وآخرون من أهل العلم امتدحوا تعريفه للتقوى، لما حصلت الفتنة في زمانه؛ جاء إليه نفر من الناس وقالوا له: الفتنة وقعت، فكيف نتقيها؟ قال: اتقوها بالتقوى، قالوا: أجمل لنا التقوى؟ يعني: اذكر لنا تعريف للتقوى، قال: تقوى الله: العمل بطاعة الله، على نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معصية الله، على نور من الله، خيفة عذاب الله. فعرف التقوى بهذا التعريف الجامع المبارك، الذي كما قدمت أثني عليه جمع من أهل العلم.

فطلق بن حبيب يقول: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَدْ احْتَرَقَ بَيْتُكَ. يعني: أصاب بيتك حريق، فَقَالَ: مَا احْتَرَقَ. هو قال هذه الكلمة دون أن يرى البيت، قال: ما أحترق. لماذا؟ قال: لَمْ يَكُنْ اللَّهُ لِيَفْعَلْ ذَلِكَ؛ لِكَلِمَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَالَهَا أَوَّلَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ النَّهَارِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبَحَ، ثم ذكر الدعاء: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

قوله: «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» هذا التوحيد، إعلان التوحيد، وقد أشرت أن هذا التوحيد يمر متكرراً وكثيراً في أذكار الصباح والمساء، وعموم الأذكار.

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ» أي: فوضت أمري إليك، واعتمدت عليك في أموري كلها.

«وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» يعني: أو من وأقر بربوبيتك إلى العرش الذي هو أكبر المخلوقات وأعظمها.

«مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ» أي: أن الأمور كلها بمشيئة الله، «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» كما قال الله - عز وجل -: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» [التكوير: ٢٩]، «مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ» أي: أقر أن الأمور كلها بمشيئتك، فما شئته كان، وما لم تشئه لا يكون، وإن أَرَادَهُ الْعَبْدُ. يقول الشافعي - رحمه الله - في أبيات له:

ما شئت كان وإن لم أشأ *** وما شئت إن لم تشأ لم يكن فالأمر بمشيئة الله سبحانه.

قال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» يعني: لا تحول من حال إلى حال ولا حصول قوة للعبد إلا بالله العلي العظيم، أي: الأمور كلها بيده سبحانه. وعرفنا فيما سبق أن هذه الكلمة كلمة استعانة بالله - عز وجل -.

قال: «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، أعلم أي: أقر وأؤمن بأن قدرة الله شاملة لكل شيء كما قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، «وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» [الطلاق: ١٢]، وبهذين الأمرين خُتِمت سورة الطلاق، قال الله - عز وجل -: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فهنا يقول: «أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي» بعد أن جاء بما تقدم وهي وسائل، جاء بالدعاء والمطلوب وهو طلب العوذ من الله قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي» أي: من كل شر يصدر من نفسي الإمارة بالسوء، «وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا» والدواب كلها رب العالمين آخذ بناصيتها، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها.

«إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»، فذكر أولاً وسائل بين يدي الدعاء، ثم دعا وسأل الله - تبارك وتعالى - هذا السؤال العظيم وهو طلب الوقاية من شر النفس، والوقاية من شر كل دابة هو - تبارك وتعالى - آخذ بناصيتها.

ولعلكم تذكرون مرّ معنا مثل هذا المعنى يُقال في الصباح والمساء التعوذ من شر النفس وشر الشيطان في حديث أبي بكر قال: «قله إذا أصبحت، وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك» وفي آخره قال: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجْرُهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

وثبت عن النبي - عليه الصلاة والسلام - كما سيأتي معنا؛ التعوذ بالله عند النوم من شر كل دابة هو آخذ بناصيتها، كان - عليه الصلاة والسلام - يقول إذا أوى إلى فراشه: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ

شَيْءٍ وَمَلِيكِهِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزَّلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا»، فهذا يُقال عند النوم.

فعلى كل حال المعنى الذي هو مطلوب في هذا الدعاء وارد في حديث آخر فيما يتعلق بالصباح والمساء وعند النوم، ووارد أيضًا عند النوم، أما هذا الحديث؛ حديث أبي الدرداء فقد نبّه المحقق أنه لم يثبت فقال: وفيه الأغلب بن تميم، قال البخاري: وغيرهم منكر الحديث، ثم رواه أي: ابن السني في كتابه "عمل اليوم والليلة" بنحوه عن رجل لم يسم، وعنه معان أبو عبد الله ولم أعرفه، فيرى الشيخ أن الحديث ضعيف، وعلى كل حال يُغني عنه ما أشرت إليه من الأحاديث والدعوات الثابتة عن النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-.

وإلى هنا انتهى ما أراد إيراده المصنف -رحمه الله- من الأذكار التي تُقال في الصباح والمساء، ولم يقصد الجمع؛ لأن هناك أذكار ودعوات تُقال في الصباح والمساء ثابتة عن النبي ﷺ ولم يذكرها المصنف هنا؛ لأنه لم يقصد الجمع، ثم بعد ذلك انتقل للأذكار التي تُقال عند النوم، والله تعالى أعلم -وصلّى الله وسلّم- على نبينا محمد.